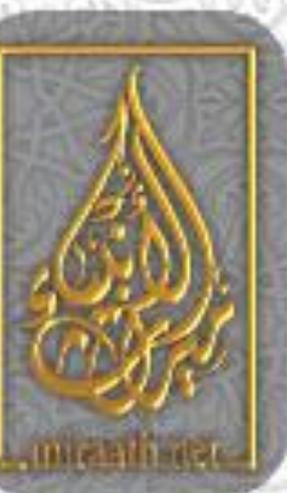


تفريغ

تتشرح السيرة النبوية

الشيخ

عرفات حسن المحمدي



قام بها

فريق التضيغات بموقع ميراث الأنبياء

شرح السيرة النبوية

للشيخ الفاضل عرفات المحمدي

حفظه الله

ضمن الدروس المباشرة التي ينظمها

ميراث الأنبياء موقع

الدرس السابع

بسم الله الرحمن الرحيم

يسر موقع ميراث الأنبياء أن يقدم لكم تسجيلًا لدرس في السيرة النبوية ألقاه الشيخ عرفات بن

حسن المحمدي - حفظه الله تعالى - نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع به الجميع.

الدرس السابع

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد

أن محمدًا عبده ورسوله - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم - وبعد:

تكلّمنا في الدرس الماضي عن عصمة النبي - عليه الصلاة والسلام - وفي هذا اليوم إن شاء الله

تعالى سنتكلم عن بعثته - عليه الصلاة والسلام - وما جرى له حينما نزل عليه جبريل في غار

حراء وقبل أن نتكلم عن هذا هناك أمور حصلت قبل المبعث وقبل نزول جبريل - عليه السلام

- من ذلكم أن الكهان من العرب كانت تأتيهم الشياطين شياطين الجن فتذكر لهم أمر النبي -

عليه الصلاة والسلام - لأن الشياطين كانت تسترق السمع فلما تقارب زمان النبي - عليه الصلاة

والسلام - لما قرب زمانه - صلى الله عليه وسلم - حيل في السماء بين الشياطين وبين المقاعد التي

كانت تقعد فيها وتسترق الأخبار والأنباء وكانت أيضًا ترمى بالشظايا وبالشهب لهذا قال الله -

عز وجل - على لسان الجن ﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاَهَا مُلَيْتٌ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا﴾ ٨، وَأَنَا

كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شُهَابًا رَصَدًا﴾ ٩ وَأَنَا لَا نَذْرِي أَشْرًا أُرِيدُ

بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ ١٠ [الجن: 8-10] الآيات، على كل حال جاء من

هواتف الجن كذلك الشيء الكثير وهي ما ألقته الجن على ألسنة الكهان فقد جاء في صحيح البخاري من حديث عبد الله بن عمر عن أبيه عمر -رضي الله عنهما- أن عمر كان جالساً فمر به رجل، رجل جميل فقال عمر لقد أخطأ ظني أو إن هذا على دينه في الجاهلية أو لقد كان كاهنهم، عمر يقول أن هذا الرجل الذي مر به هو من الكهان الذين عرفهم وكانوا في الجاهلية على الكهانة فقال عمر: عليّ بالرجل، فدُعي له الرجل فقال له عمر ذلك الكلام يعني أنت كنت كاهناً وكنت تتكهن في الجاهلية فقال هذا الرجل: ما رأيك اليوم استقبل به رجل مسلم، يعني كيف تستقبلوني هذا الاستقبال وأنا رجل مسلم وتذكرونني بالجاهلية وبما كنت أصنعه؟ فقال له عمر: فإني أعزم عليك إلا ما أخبرتني، فقال هذا الرجل كنت كاهنهم في الجاهلية، فقال له عمر فما أعجب ما جاءت به جنيتك؟ يعني ما هو الشيء العجيب الذي رأيته من هذه الجنية ومن هؤلاء الجن الذين كانوا يأتوك؟ فقال هذا الرجل فبينما أنا يوماً في السوق جاءتني (أي الجنية) أعرف فيها الفزع فقالت ألم تر الجن وإيلاسها؟ ويأسها من بعد إنكاسها؟ ولحوقها بالقلاص وأحلاسها؟ فقال له عمر صدق، بعد ما ذكر له هذا قال عمر صدق، أي صدق الرجل، قال بينما أنا عند أهلتهم إذ جاء رجل بعجل فذبحه فصرخ به صارخ لم أسمع صارخاً قط أشد صوتاً منه، يقول يا جليح أمر نجيح رجل فصيح يقول لا إله إلا أنت فوثب القوم قلت لا أبرح حتى أعلم ما وراء هذا، ثم نادى: يا جليح أمر نجيح رجل فصيح يقول لا إله إلا الله قال فقمتم فما نشبنا أن قيل هذا نبي، يعني ما مرت أيام إلا وقد ظهر النبي وهو محمد -عليه الصلاة والسلام-، إذاً عمر يؤكد ما كان في الجاهلية ما حصل أن الجن كانت تتكلم تارة على لسان الأوثان وتارة على لسان

الحيوانات كما حصل في هذا العجل الذي ذبح فكان يقول يا جليح والجليح بمعنى الوقح الذي يظهر العداوة، أمر نجيح رجل فصيح يقول لا إله إلا الله وهو النبي -عليه الصلاة والسلام-، يخبرونا بأنه سيظهر وأنه نبي ويدعو الناس لهذه الكلمة.

وكذلك من الأحاديث التي جاءت وتبين هذا وتؤكد هواتف الجن ما جاء من حديث جابر بن عبد الله عند أبي نعيم وعند البيهقي وحسنه كثير من المحققين أن أول خبر كان بالمدينة بمبعث النبي -عليه الصلاة والسلام- أن هناك جابر وهو معروف أنه من المدينة يقول إن امرأة من أهل المدينة كان لها تابع من الجن فجاء في صورة طائر أبيض فوق على حائط لهم فقالت له هذه المرأة: ألا تنزل إلينا فتحدثنا ونحدثك وتخبرنا ونخبرك؟ فقال لها هذا الطائر الذي هو في حقيقته جني قال لها إنه قد بُعث نبي بمكة حرم الزنى ومنع منا القرار فيخبرها بأنه قد ظهر أوس يظهر هذا النبي الذي يحرم الزنى.

إذاً هذه هواتف الجن وكانت تتكلم بهذا وتلقي على الكهان الذين كانوا من العرب وغير العرب تلقي عليهم هذا الشيء وهذه الهواتف وتخبرهم بمقدم النبي -عليه الصلاة والسلام- فمُنعت هذه الجن من الاستماع وإن كان أكثر أهل العلم من السلف على أن هذا أيضًا كان قبل المبعث بمعنى أن الله -عز وجل- كان يمنع الشياطين من استراق السمع قبل المبعث لكنه زاد واشتد بعد المبعث إنذارًا بمبعث النبي -عليه الصلاة والسلام- كما ذكرنا في الآية ﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَتْ﴾ يعني اشتد الأمر وزادت الحراسة ﴿مُلْتَأَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾، جاء في صحيح مسلم أيضًا

من حديث ابن عباس أنه قال: أخبرني رجل من أصحاب النبي - عليه الصلاة والسلام - من الأنصار ((أَنَّهُمْ بَيْنَمَا هُمْ جُلُوسٌ لَيْلَةً مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رُمِيَ بِنَجْمٍ فَاسْتَنَارَ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَاذَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا رُمِيَ بِمِثْلِ هَذَا قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ كُنَّا نَقُولُ وُلِدَ اللَّيْلَةَ رَجُلٌ عَظِيمٌ وَمَاتَ رَجُلٌ عَظِيمٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّهَا لَا يُرْمَى بِهَا لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ وَلَكِنْ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى اسْمُهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا سَبَّحَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ ثُمَّ سَبَّحَ أَهْلَ السَّمَاءِ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ التَّسْبِيحُ أَهْلَ هَذِهِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا ثُمَّ قَالَ الَّذِينَ يَلُونَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ لِحَمَلَةِ الْعَرْشِ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ فَيُخْبِرُونَهُمْ مَاذَا قَالَ فَيَسْتَخْبِرُ بَعْضُ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ بَعْضًا حَتَّى يَبْلُغَ الْخَبْرُ هَذِهِ السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَتَخْطَفُ الْجِنُّ السَّمْعَ فَيَقْدِفُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ وَيُرْمُونَ بِهِ فَمَا جَاءُوا بِهِ عَلَى وَجْهِهِ فَهُوَ حَقٌّ وَلَكِنَّهُمْ يَقْرِفُونَ فِيهِ وَيَزِيدُونَ)) إذا هذا الحديث الذي في مسلم يبين أن السمع وأن استراق السمع كان قبل المبعث ولكنه بعد المبعث اشتد وزاد اندازًا في مبعثه - عليه الصلاة والسلام - وسيأتي معنا إن شاء الله إذا وصلنا إلى ذهاب النبي - عليه الصلاة والسلام - إلى الطائف كيف أنه التقى بالجن وماذا عرضوا عليه وكيف آمنوا وماذا عرض عليهم النبي - عليه الصلاة والسلام -، الشاهد أن قول الله - عز وجل - ﴿مَلَأْتُ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شُهَابًا رَصَدًا﴾ يؤكد أنه كان قبل المبعث وبعد المبعث.

كذلك تكلمنا في درس ماضي عن اليهود وأنهم كانوا يقرؤون بدعوة النبي - عليه الصلاة والسلام - أو بنبوته ولكن الحسد والبغي هو الذي جعلهم يكفرون بهذا النبي - عليه الصلاة والسلام -

والسلام- وقد ذكرت الأدلة الكثيرة في الدرس الماضي لكن أيضًا هي من الأمور والإرهاصات التي حصلت قبل النبوة، اليهود كانوا يخبرون بعض العرب وبعض المشركين وعباد الأوثان حتى الذين كانوا في المدينة يخبرون من كان في المدينة أنه سيظهر نبي وسأكتفي بذكر حديث واحد يؤكد ما قد ذكرته في درسٍ ماضٍ وهو حديث سلمة بن سلامة بن وقش وهذا كان من أصحاب بدر -رضي الله عنه- يقول: أنه كان له جار من اليهود وهذا اليهودي كان في بني عبد الأشهل قال: فخرج مرة هذا اليهودي من بيته قبل مبعث النبي -عليه الصلاة والسلام- بيسير فوقف على مجلس عبد الأشهل فيقول سلمة راوي الحديث: وأنا يومئذٍ أحدث من فيه سنًا يعني في هذا المجلس كنت أنا كنت أصغرهم سنًا قال كانت عليّ بردة فكنت جالسًا فذكر هذا اليهودي البعث وذكر القيامة وذكر الحساب والميزان والجنة والنار فقال ذلك لقوم أهل شرك وأصحاب أوثان لا يرون أن بعثًا كائنًا بعد الموت يعني ما في بعث بعد الموت، فقال له ويحك، يقولون له أصحاب المجلس لهذا اليهودي ويحك يا فلان ترى هذا كائنًا أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار؟ يجزون فيها بأعمالهم؟ فقال لهم اليهودي نعم والذي يُخلف به لود أن له بحظه من تلك النار أعظم تنور في الدنيا يُحْمونه ثم يدخلونه أياه يعني يدخلونه حتى يحموه فيصير حميمًا بهذا التنور يعني أنه يقول أن أحدكم إذا رأى النار ووقف عليها يتمنى أنه قد أخذ حظه من تلك النار لكن في الدنيا بماذا؟ بأعظم تنور في الدنيا يدخل فيه فينتهي ويأخذ حظه من هذه النار فيطبق عليه وأنه لا يدخل النار التي هي في الآخرة، فقالوا له ويحك وما آية ذلك؟ يعني ما دليلك على هذا الذي تقول؟ ومن أين لك هذا الكلام؟ وما آية ذلك؟ فقال لهم نبي يبعث من

نحو هذه البلاد وأشار بيده نحو مكة فقالوا له متى تراه؟ يعني متى سيخرج؟ قال فنظر إليّ في المجلس نظر إلى أصغر القوم وهو سلمة بن سلامة -رضي الله عنه- يقول سلامة وأنا من أحدثهم سنًا فقال إن يستكمل هذا الغلام عمره يدركه، فقال سلمة والله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله تعالى رسوله -صلى الله عليه وسلم- وهو حي بين أظهرنا فأما به وكفر به بغيًا وحسدًا، يعني نحن أصحاب المجلس آمنّا به وهذا اليهودي الذي كان يقول هذا الكلام كفر بالنبي - عليه الصلاة والسلام- لماذا؟ بغيًا وحسدًا فقلنا له يذكرونه ويحك يا فلان أأنت بالذي قلت كذا وكذا لنا؟ فقال لهم نعم قلت بلى أعترف، ولكن ليس به يعني ليس هذا هو النبي الذي أردت وليس هذا النبي الذي قصدته، على كل حال هذه كانت قبل النبوة أو قبل المبعث حصل أن الهواتف كانت تتكلم من الجن وكذلك ما كان يحصل من اليهود ومن أخبارهم أن نبي سيخرج.

بعد ذلكم النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يخرج إلى غار حراء ويعتزل الناس لما كان يرى ما هم عليه من الشرك وعبادة الأوثان كان يعتزل في هذا الغار لهذا جاء في حديث عائشة الطويل - رضي الله عنها- قالت: ((أَوَّلُ مَا بُدِيََ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْوَحْيِ الرَّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ وَهُوَ التَّعَبُدُ اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ)) وهو التعبد هذه زيادة من راوي الحديث وهو الزهري، قال وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، إذا أول شيء كان يراه النبي -عليه الصلاة والسلام- هي الرؤية

الصالحة وفي رواية الرؤية الصادقة وهذا كان تمهيداً، تمهيداً لليقظة وما سيحصل له في اليقظة لهذا جاء في بعض الروايات أنه كذلك كان يرى ضوءاً ويسمع صوتاً قبل أن يأتيه جبريل - عليه السلام - ثم كان يسلم عليه الحجر ففي صحيح مسلم **((قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ بِمَكَّةَ حَجْرًا كَانَ يُسَلَّمُ عَلَيَّ لَيَالِي بُعِثْتُ فِيَّ لِأَعْرِفُهُ الْآنَ))**، قبل أن أبعث يعني هذه من الأمور التي حصلت له قبل المبعث -عليه الصلاة والسلام- ثم بعد ذلك قال وحُبب إليه الخلاء، إذًا هذا هو التدرج الذي حصل له في الوحي في أول الأمر رؤية وكانت مستمرة لمدة ستة أشهر هذه الرؤية وكانت تأتيه مثل فلق الصبح في تحققها ثم تمهيد رأى صوتاً أو رأى ضوءاً وسمع صوتاً ثم كان الحجر يسلم عليه -عليه الصلاة والسلام- وحُبب إليه الخلاء، ولهذا جاء عند ابن إسحاق بإسناد صحيح أنه قال أول ما ابتدئ به رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من النبوة حين أراد الله كرامته ورحمة العباد به ألا يرى شيئاً إلا جاءت مثل فلق الصبح فمكث على ذلك ما شاء الله أن يمكث وحُبب إليه الخلوة فلم يكن شيء أحب إليه من أن يخلو، هذه يسمونها العلماء أيضاً ماذا؟ مراتب الوحي لأن الآن لما جاءه هذا الرؤية هي من الوحي ورؤى الأنبياء وحي وهي حق كما قال -عليه الصلاة والسلام- لهذا نجد أن العلماء يذكرون أن أول مرتبة من مراتب الوحي هي الرؤية الصالحة.

المرتبة الثانية: ما كان يلقيها الملك في روع النبي -عليه الصلاة والسلام- يلقيها الملك في رُوعه وقلبه لأن الرُوع هو القلب بضم الراء أما الرُوع بفتحها هو الخوف والحزن ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ﴾ [هود: 74]، أي الخوف أما هنا كان يلقي الملك في رُوعه أي في قلبه من غير

أن يراه يأتيه الملك ولا يراه النبي -عليه الصلاة والسلام- لهذا يقول -عليه الصلاة والسلام- كما جاء عند أبي نعيم وجاء عند ابن ماجه إلا أن ابن ماجه اختصر الحديث ولم يذكر الشاهد يقول: ((إِنَّ رُوحَ الْقُدْسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنْ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ أَجَلَهَا وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا، فَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ وَلَا يَحْمِلَنَّ أَحَدَكُمُ اسْتِبْطَاءَ الرِّزْقِ أَنْ يَطْلُبَهُ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ))، إذا هذه هي المرتبة الثانية من مراتب الوحي.

المرتبة الثالثة من مراتب الوحي: أن النبي -عليه الصلاة والسلام- كان يتمثل له الملك رجلاً فيخاطبه حتى يعي عنه ويفهم ما يريد هذه هي **المرتبة الثالثة**: وجاء في بعض الروايات أن جبريل كان يتمثل بدحية الكلبي -رضي الله عنه- وهو أحد الصحابة فيخاطب النبي -عليه الصلاة والسلام-، وكذلك حديث عمر الطويل في أركان الإيمان والإسلام جاء ذاك الرجل شديد سواد الشعر وشديد البياض في الثياب جاء على هيئة رجل.

المرتبة الرابعة: أنه كان يأتيه في مثل صلصلة الجرس وهذا كان أشد الأنواع وأشد المراتب على النبي -عليه الصلاة والسلام- حتى أن جبينه ليتفصد عرقاً في اليوم الشديد البرد وحتى إن راحلته لتبرك به إلى الأرض إذا كان راكبها -عليه الصلاة والسلام- وهذه أشد المراتب لهذا هذا دليل على أن المراتب كلها شديدة لكن هذا أشد والوحي شديد على النبي -عليه الصلاة والسلام- ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: 5] ولهذا كان في بعض الروايات كما جاء في البخاري من حديث زيد بن ثابت أن الوحي لما نزل على النبي -عليه الصلاة والسلام- وفخذه

كان على فخذ من؟ زيد قال فثقلت عليه حتى كادت ترضها يعني تكسرهما من شدة الثقل الذي حصل لفخذه - عليه الصلاة والسلام - بسبب الوحي .

المرتبة الخامسة: أنه كان يرى الملك في صورته الحقيقية التي خلق عليها وهذا ما حصل للنبي - عليه الصلاة والسلام - إلا مرتين مرة في أجياد في مكة وسيأتي معنا إن شاء الله معنا اليوم ومرة ثانية عندما أسري به - عليه الصلاة والسلام - رآه على صورته الحقيقية رأى جبريل - عليه السلام - وذكر أن له ستمئة جناح قد سدت الأفق فيوحي إليه ما شاء أن يوحيه .

أما المرتبة السادسة: قالوا ما حصل للنبي - عليه الصلاة والسلام - وما أوحاه الله - عز وجل - فوق السماوات ليلة المعراج حينما فرض عليه الصلاة، وبعضهم يقول هذه مرتبة .

ومرتبة سابعة يزيدوها: حينما كلمه الله - عز وجل - بلا واسطة الملك، كلمه الله - تبارك وتعالى - بلا واسطة كما كلم الله موسى بن عمران - عليه السلام - وهذه المرتبة معروفة لموسى عليه السلام قطعاً ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ ﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ حصلت أيضاً للنبي - عليه الصلاة والسلام - (وكلمه ربه بلا واسطة).

منهم من زاد مرتبة أخرى وقالوا هي أن يأتيه الملك في النوم فيوحي إليه ولهذا جاء في صحيح مسلم أن الرسول - عليه الصلاة والسلام - : ((بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا فَقُلْنَا مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أَنْزَلَتْ عَلَيَّ آيَةً سُوْرَةَ فَقَرَأْتُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرِ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ

ثُمَّ قَالَ أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ فَقُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدْنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فِي الْجَنَّةِ))

قالوا إذا لما نام جاءه الوحي في المنام ثم بعد ذلك قام وقرأ عليهم هذه السورة، هذه ذكرت من المراتب وإن كان بعض أهل العلم لا يرى أن هذه من المراتب أي النوم لماذا؟ قالوا لأن الإغفاءة المقصودة ليست هي النوم وإنما هي الحالة التي ينزل فيها على رسول الله -عليه الصلاة والسلام- الوحي فالصحابي قال إغفاءة ويقصد بها ما حصل له عندما نزل عليه الوحي.

ثم بعد ذلك ذكر العلماء أن هذه إذا ليست من مراتب الوحي التي هي النوم وإنما هذه الإغفاءة كانت هي الحالة التي ينزل عليه الوحي -عليه الصلاة والسلام-.

إذا نرجع إلى حديث عائشة الحديث الطويل إنما ذكرنا هذه الفائدة عندما تطرقنا إلى ذكر الرؤية وأنها هي أول مراتب الوحي.

التعبد في الحديث هنا ما هو؟ تقول وهو التعبد كما قال الزهري فيتحنث، بعضهم قال التحنث الذي هو التعبد وفسر بالتعبد المقصود أن النبي -عليه الصلاة والسلام- كان يتفكر في خلق الله وفي مخلوقاته وفي نعمه فيبقى في هذا الغار على هذا، وفي بعض الروايات جاءت عند ابن إسحاق أن العبادة المقصودة أنه كان يطعم من يرد عليه من المساكين يأتيه المساكين فيطعمهم -عليه الصلاة والسلام- لكن هذه الرواية لا تصح ضعيفة فان فيها إبهام ابن إسحاق يحدث عن شيخه وشيخه يقول حدثني بعض أهل العلم ما ذكر من هم؟

ومنهم من قال أن المقصود هو الانعزال عن الناس هذه هي العبادة فقط لماذا؟ قالوا لأن قومه كانوا على الشرك وعلى الباطل ففعل -عليه الصلاة والسلام- كما فعل الخليل ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّئِينَ﴾ [الصفات: 99] أي ينعزل ويترك خلطة الناس لما هم عليه من عبادة الأصنام والشرك، على كل حال هذا التعبد هل كان النبي -عليه الصلاة والسلام- على شرع؟ يعني هذه العبادة إن قلنا إنها عبادة كذا وكذا هل كانت على شرع وعلى طريقة من الأنبياء الذين سبقوه أم أنها ما كانت على شرع؟ اختلف العلماء على عدة أقوال فمنهم من يقول كان على شرع نوح ومنهم على شرع موسى ومنهم من يقول على شرع عيسى ومنهم من قال على شرع إبراهيم - عليه السلام - لأن الله قال له ﴿أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل: 123] إذاً هذا التعبد هو التحنث وهو كما ذكرت لكم منهم من قال التفكير في المخلوقات.

هذا الغار غار حراء غار مشهور معروف في مكة ويقال حراء وحرا بالقصر والمد وهو على بعد تقريباً ثلاثة أميال من منى مشرف على الكعبة هذا الغار كان النبي -عليه الصلاة والسلام- يذهب إليه، قد يقول قائل لماذا اختار النبي -عليه الصلاة والسلام- هذا الغار؟ منهم من يقول لأنه كان مرتفعاً وكان يشرف على الكعبة فإذا ارتقى على هذا الغار وارتفع كان يرى الكعبة فينظر في مخلوقات الله وينظر إلى الكعبة ومنهم من قال لأن أجداده كانوا يفعلون هذا جده عبد المطلب كان يأتي إلى هذا الغار ويفعل هذا الشيء يبقى وينعزل ويطعم المساكين وكل هذا لا دليل عليه لكن أهل السير ذكروا هذا حتى أهل الحق وفي رواية فَجِئَهُ الْحَقُّ مَا مَعْنَى فَجِئَهُ؟ يعني جاءه بغتة كما قال الله: ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ﴾ [القصص: 86] أي ما

كنت تظن قبل إنزال الوحي إليك يا رسول الله أن الوحي سينزل عليك إنما نزل الوحي عليك من الله ومن رحمته سبحانه وتعالى ما كنت مستعداً ولا كنت متحريراً ذلك ولا متصدياً له، إذاً كان النبي -عليه الصلاة والسلام- يجاور في حراء حتى إن العلماء ما يقولون كان معتكفاً في غار حراء يقولون مجاور حتى جاءت في بعض الروايات الصحيحة من حديث جابر إني جاورت بحراء فلما قضيت جوارى في الصحيحين وفي غيره إذاً هذا الفرق بين الجوار وبين الاعتكاف، فجاءه الحق جاءه جبريل - عليه السلام - في أي شهر نزل القرآن؟ لأن الآن جبريل لما جاءه سينزل عليه القرآن وهي أول آيات نزلت على النبي -عليه الصلاة والسلام- متى كان هذا؟ هذا النزول للقران ومجيء جبريل - عليه السلام - إلى الغار وقراءة عليه هذه السورة العظيمة سورة العلق أو جزء من هذه السورة متى كان؟

هذا لا شك ولا ريب أن النبي -عليه الصلاة والسلام- لما كمل له أربعون سنة وجاءه جبريل وأشرق عليه نور النبوة وأكرمه الله تعالى برسالاته وكذلك بعثه إلى خلقه واختصه بهذه الكرامة لا خلاف أن هذا المبعث كان يوم الإثنين هذا بالإجماع أن هذا اليوم الذي جاءه جبريل كان يوم الإثنين والدليل ما جاء في صحيح مسلم حينما سئل - عليه الصلاة والسلام- عن صيام يوم الإثنين فقال ((ذَلِكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ وَيَوْمٌ بُعِثْتُ أَوْ أُنزِلَ عَلَيَّ فِيهِ)) يعني القرآن لكن الخلاف في أي شهر؟ في أي شيء كان هذا المبعث وهذا النزول للقرآن؟ أكثر أهل العلم وهو المشهور عند أهل السير والتاريخ أنه كان لثمانٍ مضيّن من ربيع الأول، ثمان أيام مضيّن من شهر ربيع الأول، كان في سنة إحدى وأربعين من عام الفيل يعني قد مضى للنبي -عليه الصلاة والسلام- أربعون سنة

وهو على رأس الأربعين وبعض أهل العلم وهي طائفة أخرى وهم قليل قالوا كان ذلك في رمضان لماذا؟ قالوا لان الله يقول ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: 185] قالوا فأول ما أكرمه الله أنزل عليه القرآن وكان هذا في رمضان لهذا يقول الإمام الحنبلي الصرصري - عليه رحمة الله - في نونيته:

وأت عليه أربعون فأشرقت شمس النبوة منه في رمضان

أكثر أهل العلم كما ذكرت لكم يقولون أنه في ربيع الأول وذهبوا إلى أن الآية التي هي: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ قالوا إنما كان إنزال القرآن في رمضان جملة واحدة وكان هذا في ليلة القدر، وكان هذا إلى السماء الدنيا وفي رواية بيت العزة، وقد جاءت روايات صحيحة وكثيرة عن ابن عباس في تفسير هذا النزول حينما ذكر (أنزل فيه القرآن) قال أنزل إلى السماء الدنيا جملة واحدة، ثم أنزل منجماً بحسب الوقائع في كم؟ في ثلاث وعشرين سنة.

فليس المراد بهذا النزول هو أول نزول إلى الغار وإنما المقصود بهذا النزول الذي أنزل فيه في رمضان المقصود أنه أنزل جملة واحدة إلى السماء الدنيا، ولا شك أن هذا هو الصحيح والذي يظهر أن النبي -عليه الصلاة والسلام- نزل عليه في شهر ربيع الأول لثمان مضين، مضين ثمان أيام من ربيع الأول وهو قول أكثر أهل العلم من أهل التاريخ والسير.

قد يقول قائل قد ذكروا في كتب السير أن الشهر الذي كان يذهب فيها النبي -عليه الصلاة والسلام- إلى غار حراء هو شهر رمضان هكذا قالوا، قالوا كان يذهب في شهر رمضان ويذهب

في كل سنة فقط شهرًا واحدًا وهو رمضان، نقول لم يأت دليل على هذا، والذين اعتمدوا على هذا الكلام إنما استدلوا برواية عند ابن إسحاق في سيرته وهذه الرواية لا تصح، لأنها كما ذكرت لكم أنفًا، إنما هي من طريق شيخه عن بعض أهل العلم، فالرواية فيها مبهمون لا نعرف من هم وفيها انقطاع لا شك ولا ريب لأنه لا يروي عن النبي -عليه الصلاة والسلام- مباشرة فهو من صغار التابعين، إذًا هذا لا دليل عليه بل الذي يؤكد أن هذا النزول ومجيء جبريل - عليه السلام - كان في شهر ربيع الأول.

تقول عائشة وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ هكذا يقول له جبريل - عليه السلام - اقرأ فقال ما أنا بقارئ، قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، وفي رواية الجهد وكلاهما صحيح بالفتح وبالضم، ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ، قال فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد أو الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق: 1-5] فقله هنا ما أنا بقارئ أي ما أحسن القراءة إذًا ما هنا نافية، بعض أهل العلم ذهب إلى أنها استفهامية وكأنه يقول ما الذي تريد مني أن اقرأه؟ وهذا غير صحيح ليست استفهامية بل هنا هي نافية بمعنى ما أحسن القراءة كان أميًا -عليه الصلاة والسلام- لا يكتب ولا يقرأ وهذه من آياته أما قوله فغطني الغط هنا بمعنى العصر الشديد والكبس بمعنى ضمه بقوة طيب لماذا؟ ما الحكمة من هذا الغط؟ قال

بعض أهل العلم: إنما هو امتحان ليمتحن صدره ليرتبط ويرتاض -عليه الصلاة والسلام- لاحتمال ماذا سيكلفه الله به من أعباء النبوة.

ومنهم من قال غير ذلك قالوا إنما لأن جبريل سيلقي عليه قولاً ثقيلاً فكان يريد أن يبين له أهمية هذا الأمر فالنبي -صلى الله عليه وسلم- سيتحمل رسالة ثقيلة وأمر عظيم وسيؤذي في ذلك، ومنهم من فسرها بأنها ثلاث مرات يعني غطه الأولى والثانية والثالثة فقالوا هذا دليل على أنه سيتمحن ثلاث مرات فذكروا قضية إخراجه من مكة وقضية إحصاره في الشعب، وهذه أقوال لبعض أهل العلم ومنهم من قالوا: إن الحكمة حتى لا يتخيل النبي -عليه الصلاة والسلام- ويظن أن الذي جاءه ليس حقيقة فضمه حتى يعرف أن هذه من صفات الجسم وأن هذا واقع وأن الذي جاءه ملك حقيقة، كل هذه يعني تخريجات وذكر الحكم من أهل العلم وأيضاً لا بأس بذكرها هذا الشيء أو هذا الفعل الذي فعله جبريل هل هو خاص بالنبي -عليه الصلاة والسلام-؟ أو أن جميع الأنبياء صنع بهم مثل ما صنع بالنبي -عليه الصلاة والسلام-؟ العلماء يقولون إن هذا من خصائص النبي -عليه الصلاة والسلام- إذ لم ينقل عن أحد من الأنبياء أنه جرى له عند ابتداء الوحي مثلما حصل للنبي -عليه الصلاة والسلام- فقوله: اقرأ هذا أمر بالقراءة فقط لا بالتبليغ لم يأمره بأن يبلغ شيئاً لهذا قال العلماء عندما قال له اقرأ صار نبياً -عليه الصلاة والسلام- لكن لما نزلت عليه ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ [المدثر: 1-2] هنا أمر بالإنذار وبذلك صار رسولاً -عليه الصلاة والسلام-.

إذا كما قال العلماء نبئ باقرأ وأرسل بالمدثر صار نبياً باقرأ وصار رسولاً -عليه الصلاة والسلام- حينما نزلت عليه يا أيها المدثر، ولهذا هنا ذكر العلماء أيضا مراتب للوحي فقالوا:

* **المرتبة الأولى:** هي النبوة.

* **المرتبة الثانية:** أمر الله -عز وجل - لنبيه بإنذار عشيرته الأقربين.

* **المرتبة الثالثة:** الأمر بإنذار قومه.

* **المرتبة الرابعة:** بإنذار قوم ما آتاهم من نذير من قبله وهم العرب.

* **المرتبة الخامسة:** إنذار جميع من بلغته دعوته -عليه الصلاة والسلام- من الجن

والإنس إلى آخر الزمان.

هذه المراتب التي ذكرها العلماء مراتب الدعوة التي دعا النبي -عليه الصلاة والسلام- فتقول عائشة فرجع -عليه الصلاة والسلام- يرجف فؤاده وفي رواية بواده والبواد هي جمع بادرة قالوا هي اللحمية التي بين المنكب والعنق لأنه جرت العادة أن الإنسان إذا جاءه الفزع والروع والخوف تضطرب هذه اللحمية فجاء إلى خديجة - عليه الصلاة والسلام- وهو يرجف فؤاده - عليه الصلاة والسلام- دخل على خديجة بنت خويلد -رضي الله عنها- فقال لها زملوني زملوني فزملوه، زملوه حتى ذهب عنه الروع والخوف فأخبر خديجة بالخبر وقال لقد خشيت على نفسي يقول لخديجة لقد خشيت على نفسي، حتى إن العلماء اختلفوا من ماذا خشي النبي -صلى الله عليه وسلم- على نفسه؟ ذكروا تقريبا اثني عشر قولاً لكن لعل أرجح هذه الأقوال خشي على نفسه من الأذى الذي قد يؤدي هذا الأذى إلى الموت، وهذا من طبيعته وبمقتضى بشريته -عليه الصلاة

والسلام- أن يخاف لأنه رأى شيئاً غريباً ما اعتاده ورأى يعني يقول له مثلاً يأمره اقرأ كذا وضمه وبلغه الجهد أو الجهد فهذا حتى قد حصل لموسى - عليه السلام - عندما الله - عز وجل - أمره بأن يلقي العصا قال فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبراً ولم يعقب فقال الله له: يا موسى لا تخف ولما ذكر موسى عليه السلام قتل النفس التي قتلها قال: ﴿وَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ [الشعراء: 14] يعني هذا لا شك ولا ريب أن النبي - عليه الصلاة والسلام - خشي وخاف على نفسه وهذا بمقتضى بشرته - عليه الصلاة والسلام - فقالت له خديجة - رضي الله عنها - وأرضاها كلا والله ما يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، وفي رواية أيضاً في صحيح البخاري وتصدق الحديث، استدلت - رضي الله عنها - بهذه الأخلاق الحميدة الفاضلة التي قد رأتها من النبي - عليه الصلاة والسلام - لا سيما وهي زوجته فتقول له أبداً هذا الصنف وهذا النوع الذي على شاكلتك أو على الذي هو مثلك يا رسول الله والذي كذلك بهذه الأخلاق العظيمة وهذا لا يضيعه الله بل ينصره ولا يخزيه الله، في بعض الروايات كلا والله لا يخزئك الله وفي بعض الروايات خارج الصحيحين قالت له كلا يا ابن عبد المطلب أو يا ابن عبد الله فوالله لا يصنع الله بك إلا خيراً مع ذلك أرادت - رضي الله عنها - أن تتأكد من حقيقة هذا الأمر فماذا صنعت؟ قالت عائشة فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى وهو ابن عم خديجة وكان امرئاً قد تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب وكان شيخاً كبيراً قد عمي، يعني أصابه العمى ضريراً، فقالت له خديجة: يا ابن عمي اسمع من ابن

أخيك فقال له ورقة يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره النبي -صلى الله عليه وسلم- خبر ما رأى قال رأيت كذا وجاءني كذا وغطني وأمرني بالقراءة، حكى له ما حصل فقال له ورقة هذا الناموس الذي نزل الله على موسى.

الناموس معناه هو صاحب السر صاحب سر الرجل الذي يطلعه على باطن أمره ويخصه بأشياء فقال هذا هو نفسه الذي كان يتنزل على موسى ويقصد جبريل - عليه السلام - فلما استدل ورقة بهذا أو عندما سمع هذا الكلام وعلم أن النبي -عليه السلام- نبي هذه الأمة وأنه خارج قال يا ليتني فيها جذعًا ليتني أكون حيًا إذ يخرجك قومك فقال له النبي -عليه الصلاة والسلام- أو مخرجي هم؟ قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي وفي رواية إلا أوذي وأن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا، ثم لم ينشب ورقة -رضي الله عنه- أن توفي وافر الوحي أي توقف.

ورقة بن نوفل -رضي الله عنه- كثير من العلماء ممن كتب في حياة الصحابة عده صحابيًا فهو ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى إذا هو ابن عم خديجة لأن خديجة هي بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى وهو قرشي هذا ورقة كان يكره عبادة الأوثان وكان يطلب الدين ويريد ماذا؟ مثل ما مر معنا في حديث زيد بن عمرو بن نفيل فورقة وزيد بن عمرو وسلمان الفارسي وذكروا أمية بن أبي الصلت كل هؤلاء كانوا يبحثون عن الدين وكانوا يكرهون عبادة الأوثان ويكرهون أيضًا ما كانت عليه أقوامهم من عبادة غير الله، هذا ورقة ذهب يبحث عن الدين فسافر إلى الشام وهناك التقى بعلماء النصارى فأعجبه دين النصرانية فتنصر، تنصر وصار نصرانيا وكان يكتب

الإنجيل، وكان قد لقي من بقي من الرهبان الذين كانوا على دين عيسى ولم يبدلوه فتعلم منهم، وكان شيخًا كبيرًا كما قالت عائشة في الرواية قد عمي.

قد يقول قائل لماذا ورقة مباشرة عندما رأى النبي -عليه الصلاة والسلام- أو عندما حكي له النبي -عليه الصلاة والسلام- صدقه صدق النبي -عليه الصلاة والسلام-؟ لأنه مذكور أي النبي -صلى الله عليه وسلم- جاء ذكره في الإنجيل وأنه سيكون من أمة العرب ومن ذرية إسماعيل، وأنه سيخرج من جبال فاران التي هي جبال مكة وقد ذكر هذا في الإنجيل وقد ذكر هذا في التوراة وكان ورقة عالما بالإنجيل كما قال الله -عز وجل- في القرآن ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ﴾ [البقرة: 146] ولهذا لما استدل لما رأى أحوال النبي -عليه الصلاة والسلام- وما ظهرت له من خصائص الرسل آمن به وقال له أنت النبي وليتني كنت فيها جذعًا سأنصرك وسأفعل لكنه توفي -رضي الله عنه-.

لهذا جاءت في بعض الروايات أن ورقة جعل الله له جنتين وفي رواية قال لا تسبوا ورقة وفي رواية أنه رأى له نهرًا في الجنة وفي رواية رأى أنه يلبس الثوب الأبيض وبعض الروايات حسنها الشيخ الألباني -عليه رحمة الله- لكن على كل حال هو صحابي وهذا الذي يظهر وقد أثبت صحبته كثير من العلماء كالإمام الطبري والإمام البغوي وابن السكن وابن قانع وكثير ممن كتب في حياة الصحابة حتى الشيخ ابن عثيمين -عليه رحمة الله- في شرحه للعقيدة الواسطية ذكر هذا وأنه صحابي بل قال هو أول الصحابة.

إذًا عرفنا ما حصل للنبي -عليه الصلاة والسلام- في غار حراء، توقف الوحي وفتّر كما جاء في الرواية.

جاءت رواية من طريق الزهري هذه الرواية يقول الزهري فيما بلغنا مع أنها في صحيح البخاري والذي يقرأها يظن أنها متصلة وأنها مع الرواية المشهورة التي هي في حديث عائشة لكن هذه الرواية ليست من قول عائشة إنما هو من قول الزهري، يقول الزهري: (فيما بلغنا) هكذا، ماذا حصل؟ النبي -صلى الله عليه وسلم- لما فتّر الوحي حزن فماذا صنع قال الزهري فكان يتردى من رؤوس شواهد الجبال أو كي يتردى يعني كان الرسول -عليه الصلاة والسلام- يرتقي إلى شواهد الجبال ويريد أن يتردى ويتحرر لماذا لأن الوحي قد فتّر وتوقف.

يقول الزهري: فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي منها نفسه تبدى له جبريل فقال يا محمد إنك رسول الله حقا فيسكن -عليه الصلاة والسلام- قال فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع، يعني يترك الانتحار فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا مثل ذلك فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك هذا الحديث لا يصح، وهو في صحيح البخاري لكنه غير مسند وليس هو على شرط البخاري، ولهذا ذكر بعض أهل العلم أن البخاري ذكره بعد الرواية الصحيحة حتى يبين أنه ضعيف وأنه لا يصح وأنه معلول لماذا؟ لأنه مرسل فالزهري تابعي صغير فهو مرسل بل معضل وقد صرح قال: فيما بلغنا، إذًا لا يصح.

ثانيًا: أن هذه الرواية تفرد بها معمر عن الزهري بخلاف يونس وعقيل كل هؤلاء روى الحديث عن الزهري بالرواية المشهورة بحديث عائشة الذي قد قرأناه ولذلك قال الحافظ وهو من بلاغات الزهري وليس موصولاً، إذا عرفنا أن هذه لا تصح ولا حجة للمستشرقين ولمن كان على شاكلتهم ولف لفهم الذين يظنون أن هذا لهم حجة في الطعن في عصمة النبي -عليه الصلاة والسلام- أو تشويه هذا الدين، هذه الرواية لا تصح ولا حجة فيها، إذا عرفنا ما حصل للنبي -عليه الصلاة والسلام- نعم فتر الوحي لا شك ولا ريب وهذا قد جاء في حديث عائشة.

ولهذا جاء في حديث جابر وهو في الصحيحين أيضاً أنه جاءه جبريل -عليه السلام- على صورته الحقيقية وفي رواية أنه جالس على كرسي أي جبريل، جبريل كان جالساً على كرسي وكان يخاطب النبي -عليه الصلاة والسلام- فرجع وخاف -عليه الصلاة والسلام- وقال دثروني دثروني فنزلت عليه ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ﴾، نعم هذه الرواية الصحيحة أما رواية أنه ارتقى على شواهد الجبال فهذه كما ذكرت لكم لا تصح، إذا عرفنا أن هذا الحديث المشهور حديث عائشة -رضي الله عنها-.

طيب هذا الحديث فيه صراحة أن أول ما نزل من القرآن هو سورة العلق وهي الآيات الأولى منه ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ مع ذلك اختلف العلماء ما هو أول ما نزل على النبي -عليه الصلاة والسلام-؟ ذهبت طائفة إلى أن أول ما نزل على الرسول -صلى الله عليه وسلم- هو سورة الفاتحة واستدلوا بحديث أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال لخديجة أني قد ذهبت وسمعت نداء فوالله قد خشيت على نفسي فقالت له معاذ الله إنك لتؤدي الأمانة وتصل الرحم

إلى أن قال -عليه الصلاة والسلام- في آخر الحديث ثم أتاني (أي جبريل) فأخبرني فلما خلا قال له (أي جبريل) يا محمد قل بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين حتى بلغ ولا الضالين، إذا هذه حجة من ذهب إلى أن أول ما نزل على النبي - عليه الصلاة والسلام- هو سورة الفاتحة، والعجيب أن بعض المفسرين ذكروا أن هذا قول أكثر أهل العلم وهذا غير صحيح هذا رجحه بعض المفسرين ومنهم الزمخشري المعتزلي في كتابه الكشاف وهذا الحديث لا يصح، ذكره البيهقي وذكره الواحدي وكثير من أهل العلم ضعيف لا يصح ولا تقوم به حجة.

القول الثاني: قالوا أول ما نزل على الرسول هو قول الله -عز وجل- ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ واستدلوا بما جاء في الصحيحين من حديث جابر أنه سئل سألته أبو سلمة بن عبد الرحمن قال له يا جابر أي القرآن أنزل قبل؟ فقال ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ يقول جابر فقال أي جابر ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ ثم قال له أبو سلمة فقلت له ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾؟ يعني هذه السورة أليست هي الأولى؟ فقال جابر أحدثكم ما حدثنا به رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال النبي -صلى الله عليه وسلم-، إني جاورت بحراء فلما قضيت جوارى نزلت فاستبطنت الوادي (يعني نزل في بطن الوادي -عليه الصلاة والسلام-) قال فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي ثم نظرت إلى السماء فإذا هو (يعني جبريل) فأخذتني رجفة فأتيت خديجة فأمرتهم فدثروني فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ هذه حجة من ذهب إلى أن أول ما نزل على الرسول -عليه الصلاة والسلام- من القرآن هو ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾.

القول الثالث: هم الذين قالوا إن أول ما نزل هو ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ كما في حديث عائشة الذي ذكرناه قالوا لأنه جاء أن الرسول -عليه الصلاة والسلام- في الغار وأول ما جاءه جبريل وغطه وقال له اقرأ، قرأ هذه الآيات إلى قوله ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ وأكد ذلك ما جاء عند الحاكم في المستدرک وعند البيهقي من حديث عائشة وهو حديث صحيح قالت أول سورة نزلت من القرآن ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ وجاء أيضا من حديث أبي موسى أنه قال يعني كان إذا جلس يعلم تلاميذه القرآن فإذا تلا هذه السورة ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ قال هذه أول سورة أنزلت على محمد -صلى الله عليه وسلم- ولا شك أن هذا هو الصحيح وهذا قول أكثر أهل العلم، أما حديث جابر لا حجة لهم فيه لماذا؟ لأن هذه القصة التي ذكرها جابر وقال لأبي سلمة بن عبد الرحمن أحدثكم ما حدثنا به رسول الله -عليه الصلاة والسلام- ثم ذكر الحديث، هذا الحديث فيه ماذا؟ أن الرسول كان في بطن الوادي فرأى جبريل فماذا قال؟ قال هو الذي جاءني في الغار (هكذا جاء في الرواية جاء في الرواية أنه لما رأى جبريل -عليه السلام- وفي بعض الروايات أنه جالس على كرسي بين السماء والأرض وهي أيضا في الصحيحين قال فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فرجعت فقلت زملوني زملوني فذثروني فأنزل الله ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ إذا قول النبي -عليه الصلاة والسلام- الملك الذي جاءني بحراء يدل على ماذا؟ على أن هذه القصة كانت متأخرة عن قصة حراء التي نزل فيها ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ إذا ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ كانت بعد نزول قول الله -عز وجل- ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ وهذا هو الصحيح التي تؤكد الأدلة.

ثم بعد ذلك النبي -صلى الله عليه وسلم- أمره ربه بالبلاغ فنزلت عليه الآيات وتتابع الوحي كما جاء في بعض الروايات ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ ﴿٢١٤﴾ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرِيءٍ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبِكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿[الشعراء: 214-218]﴾ ثم نزلت عليه ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: 44] وأنزل الله -عز وجل- عليه ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَيَّ مَعَادٍ﴾ [القصص: 85] أي الذي فرض عليك وأوجب عليك القرآن سيردك إلى دار الآخرة فسيسألك عما حصل ولهذا قال ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٩٢﴾ ﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: 92] إذا أمر النبي -عليه الصلاة والسلام- بإبلاغ الرسالة إلى كل الناس وأمره الله بالصبر وأمره بالاحتمال وأمره بالإعراض عن المشركين وعن الجاهلين وعن المعاندين وعن المكذبين لأنه هذا الإعراض بعد البيان وبعد قيام الحجّة عليهم وقد أرسل الله لهم هذا الرسول لقيام الحجّة، لكن من الطبيعي ومن المعروف أن يبدأ النبي -عليه الصلاة والسلام- بعرض هذا الإسلام على أهله وعلى أقرب الناس إليه وفي مقدمتهم من؟ زوجته خديجة لهذا كانت أول من أسلم على الإطلاق أول خلق الله إسلامًا هي خديجة -رضي الله عنها- وهي أول من استمع إلى الوحي من النبي -صلى الله عليه وسلم- وأول كذلك من وقف على شهادة أهل الكتاب بصدق نبوة محمد -عليه الصلاة والسلام- وذلك عندما ذهبت إلى ابن عمها ورقة بن نوفل ثم عرض النبي -عليه الصلاة والسلام- على أهله فأمن علي بن أبي طالب من الصغار أو من الغلمان وعرض على مولاه زيد بن

حارثة وهو من أقرب الناس إليه فأسلم وكذلك بناته زينب وأم كلثوم وفاطمة ورقية ثم بعد ذلك انتقل إلى أصحابه ومعارفه فدعا أبا بكر الصديق فأسلم ولم يتردد لحظة -رضي الله عنه- وأرضاه في التصديق وفي الإيمان بالنبى -عليه الصلاة والسلام- بل كان في إسلامه كما سيأتي معنا فاتحة خير لماذا؟ لأنه كانت قريش تحبه وكانت تعرف فضل هذا الرجل وتعرف مكانته لأنه كان من كبار القوم ومن كبار التجار الذي له مكانته وثقله في المجتمع ولذلك لما أجاب -رضي الله عنه- واستجاب إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم- دعا الناس فاستجابوا له استجابوا لأبي بكر منهم عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وعثمان بن مظعون وأبو سلمة بن عبد الأسد وأبو عبيدة بن الجراح والأرقم بن أبي الأرقم وذكروا أيضًا خباب كل هؤلاء أسلموا ودخلوا في دين الله، عمار بن ياسر وأمه وهكذا لهذا جاء في الحديث يقول -عليه الصلاة والسلام- كما عند أحمد وعند غيره أول من أظهر الإسلام سبعة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأبو بكر وعمار وأمه سمية وصهيب وبلال والمقداد لهذا النبي -صلى الله عليه وسلم- دعا أهله جمع النبي -صلى الله عليه وسلم- بني عبد المطلب وجاء بالطعام وبالشراب فصنع لهم مدا من طعام فأكلوا حتى شبعوا، وبقي الطعام كما هو لم يُمس منه شيء، فأتى بالشراب فشرَبوا كذلك وبقي الشراب كأنه هو كأنه ما مسه أحد بشيء، فقال لهم بعد ذلك بعد أن أكلوا وشرَبوا: (يا بني عبد المطلب إني قد بعثت لكم خاصة وإلى الناس عامة وقد رأيت من هذه الآية (يقصد بهذه الآية الطعام الذي بقي والشراب الذي بقي) وكأنهم ما أكلوا منه شيئًا مع أنهم قد أكلوا وشرَبوا حتى شبعوا فقال لهم وقد رأيت من هذه الآية ما رأيت

فأيكم ييايعني على أن يكون أخي وصاحبي؟ يعني معي على هذا الدين؟ فما قام أحد منهم، ما قام أحد من بني عبد المطلب في بعض الروايات أن الذي قام علي بن أبي طالب وكان أصغر القوم بل كان غلام -رضي الله عنه- كان غلامًا في ذلك الوقت فقال له الرسول: اجلس ثلاث مرات وهو يقوم والرسول -عليه الصلاة والسلام- يأمره بالجلوس ثم بعد ذلك انطلق النبي -عليه الصلاة والسلام- بدعوته لا سيما عندما أنزل الله -عز وجل- ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (ورهطك منهم المخلصين) هكذا نزلت الآية في أول ما نزلت (ورهطك منهم المخلصين) فقام -عليه الصلاة والسلام- يدعو الناس فقام يقول (يا معشر قريش اشترُوا أنفسكم لا أُغني عنكم من الله شيئاً) فكان يخص ويعم بمعنى يذكر القبائل ثم يخص الرجال فكان يقول يا بني عبد مناف لا أُغني عنكم من الله شيئاً يا عباس بن عبد المطلب لا أُغني عنك من الله شيئاً يا صفية عمة رسول الله لا أُغني عنك من الله شيئاً ويا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي لا أُغني عنك من الله شيئاً) وجاء في بعض الروايات من حديث ابن عباس أنه ارتقى على الصفا -عليه الصلاة والسلام- فجعل ينادي (يا بني فهر يا بني عدي) ينادي بطون قريش حتى اجتمعوا جميعاً فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج ويرى ما عند محمد -عليه الصلاة والسلام- يرسل رسولاً لينظر ما الذي حصل فاجتمعت الناس واجتمع بطون قريش أبو هب حضر مع الذين حضروا فقال لهم النبي -صلى الله عليه وسلم- (أرايتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟ قالوا نعم ما جربنا عليك إلا صدقا وهذا يدل على أن قريشاً كانت تعرف أن النبي -عليه الصلاة والسلام- كان هو الصادق الأمين في الجاهلية وقبل المبعث ولهذا

قالوا ما جربنا عليك إلا صدقًا، وفي قصة بناء الكعبة لما قالوا سيدخل أو أول من يدخل من هنا هو الذي سيحكم بيننا دخل النبي -عليه الصلاة والسلام- فماذا قالوا؟ قالوا دخل الصادق الأمين فقالوا له ما جربنا عليك إلا صدقًا فقال فيني نذير لكم بين يدي عذابٍ شديد فقام أبو لهب عليه من الله ما يستحق وعليه لعنة الله المتتابعة قام فقال للرسول -عليه الصلاة والسلام- تَبَّ لك يا محمد تَبَّ لك سائر اليوم ألهذا جمعنا؟ فنزلت السورة ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ فَاسْتَمِرَّ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يدعو الناس ويجهر بهذا لأن الله -عز وجل- ماذا أنزل عليه بعد اقرأ؟ أنزل عليه ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ وهذا إشارة إلى ماذا؟ إلى التكليف يعني أمره بالدعوة إلى كل الناس وقال له ﴿وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ﴾ يعني ليس هناك في الوجود أكبر من الله تعالى الذي خلق الوجود فقام النبي -عليه الصلاة والسلام- ﴿وَتِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ إشارة إلى أن الداعية إلى الله لا بد أن يبدأ بنفسه ويظهر نفسه ظاهرًا وباطنًا فكان النبي -عليه الصلاة والسلام- تنزل عليه هذه الآية ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ فقام يدعو إلى التوحيد، لأن الرجز هنا بمعنى الأصنام اهجرها وحذر منها فكان يحذر ويتكلم في قريش ويأمرهم بالتوحيد ويأمرهم بهذا الدين الخالص، وأن يتركوا عبادة الأصنام وأن يتركوا عبادة الأوثان إلى أن نزلت عليه الآيات ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ هذا فيه دليل على أنك ستعرض للأذى وستعرض كذلك لكثير من الابتلاء فعليك بالصبر عليك على تربية أصحابك وأتباعك أيضًا وأن هذا لا بد منه فكل الأنبياء قد أوذوا فنهض النبي -عليه الصلاة والسلام- بهذا، بعض أهل العلم يذكرون أن دعوته -عليه الصلاة والسلام- في أولها كانت سرية وقالوا إن هذا استمر ثلاثة

سنين، واستدلوا بما جاء عند ابن إسحاق ونقله عنه ابن هشام في سيرته لكن عندما نرجع لهذه الرواية نجد أن هذه الرواية بغير إسناد ذكرها ابن هشام في السيرة بغير إسناد ولا نجد دليلاً صريحاً واضحاً يؤكد هذا القول بمعنى أن الدعوة بدأت سرية بل النبي -صلى الله عليه وسلم- من أول ما أمره ربه انطلق يدعو أقرب الناس إليه ثم بدأ يدعو الناس كلهم ولا دليل على هذا التقسيم.

هم استدلووا برواية جاءت عند صحيح مسلم، جاءت رواية من حديث عمرو بن عبسة - رضي الله عنه- أنه قال: فأتيت النبي -صلى الله عليه وسلم- في أول ما بعث وهو بمكة وهو حينئذٍ مستخفٍ، هذه (وهو حينئذٍ مستخفٍ) فهموا منها أن الدعوة كانت سرية وأن الرسول ما جاء إلى الناس يقول لهم اعبدوا الله وكذا، وإنما كان بالسر يخاطب فلانا وفلانا وهكذا، ولم يجهر لكن عندما نرى في هذه الرواية ونقرأها من أولها كما هي في صحيح مسلم نرى أنه ليس فيها دليل لماذا؟ يقول عمرو بن عبسة: كنت وأنا في الجاهلية هكذا جاء الحديث في صحيح مسلم أظن أن الناس على ضلالة وأنهم ليسوا على شيء وهم يعبدون الأوثان فسمعت برجل بمكة يخبر أخباراً فقعدت على راحتي فقدمت عليه فإذا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مستخفٍ أو مستخفياً جراء عليه قومه أو ماذا جاء هذه مختلف فيها يعني ذكر النووي أنها قُرئت في بعض الأصول جراء وفي بعض الأصول حراء بالحاء ما معنى هذه الكلمة؟ أي أن الرسول استخفى بسبب تسلط القوم وبسبب الأذية التي حصلت له.

إذا لا يفهم من هذه الرواية أن الرسول كان يدعو سرًا بل هنا استخفى لأنه حصل له أذى وهذا ليس ببعيد الرسول قد يجد أذى فيتجنب هذه الأذى التي قد تحصل له ويتعد عنها حتى لا يؤذى أليس في هجرته -عليه الصلاة والسلام- قد استخفى في الغار؟ وجعل علي بن أبي طالب على فراشه كما سيأتي معنا؟ فهنا دليل على أن قومه تجرؤا عليه وآذوه لأنه يذكر جراء عليه ماذا؟ قومه، فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة إذا الاستخفاء الحاصل إنما هو الهروب مما حصل له من الأذى وقد يكون حصل له شيء من الضرب أو شيء من التعرض للنبي - عليه الصلاة والسلام- ولتسلط قومه عليه وليس المراد أنه كان ما يجهر بالدعوة لا يوجد دليل أبدًا بل كل النصوص تؤكد أن ربه أمره من أول ما أمره بالرسالة أن يجهر بالدعوة فكان يجهر -عليه الصلاة والسلام- وقد ذكرنا حديث ارتقائه على جبل الصفا فعم وخص وكان يقول للناس لا أغني عنكم من الله شيئًا وكان يقول لهم إني نذير لكم بين يدي عذابٍ شديد.

وسيأتي معنا إن شاء الله في الأسبوع القادم الأساليب التي اتخذتها قريش في صد دعوته -عليه الصلاة والسلام- لأنه لما أمره الله بالرسالة قام وجهر وبلغ الناس فماذا حصل؟ آذوه وفعّلوا له الأفاعيل وصنعوا به ما صنعوا إن شاء الله في الأسبوع القادم سنتحدث عن هذا الذي هو الأساليب التي اتخذتها قريش في صد دعوة النبي -صلى الله عليه وسلم- وبهذا القدر كفاية.

وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه.

وصلى اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

وللاستماع إلى الدروس المباشرة والمسجلة والمزيد من الصوتيات يُرجى زيارة موقع ميراث الأنبياء على الرابط

www.miraath.net

وجزاكم الله خيرا

